الضوابط الاخلاقية من خلال سورة الحجرات

د. مروان صباح الاعظمي
الجامعة العراقية/ كلية الآداب

Ethical controls through Al rooms

Dr. Marwan Sabah Yassin Noah
Aliraqia University

تمهيد

مفهوم الضبط في اللغة والاصطلاح

الضبط لغة مصدرٌ من الفعل الثلاثي: (ضبط) كـــ(فرح)... وضبطه ضبطاً، وضُبَاطة: حفظه بالحزم.. ورجل ضَابطٌ وضَبْطٌ: قويٌّ شديدٌ.. والضَّبْطُ: لزوم الشيء وحبسه.. وضَبَط عليه وضَبَطَه، يضْبطُ ضَبْطاً وضُباطهُ.. قال الليث:

«الضَّبط: لزوم الشيء لا يفارقه في كل شيء.. وضَبَط الشيء: حفظه بالحزم، والرجل ضابط، أي: حازم»[١].

أما في الاصطلاح: فهو إسماع الكلام كما يحق سماعه، ثم فهم معناه الذي أريد به، ثم حفظه ببذل مجهوده، والثبات عليه بمذاكرته إلى حين أدائه إلى غيره[٢].

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فان خير ما صرفت فيه الجهود، واشتغل به العلماء تعلماً وتفسيراً وتفهيماً ودراسة واستنباطاً، كتاب الله العزيز الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾[٣].

فهو كتاب هداية ودستور أمة هي: ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[٤]، ولقد تكفل الله بحفظه كما قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٥]، ويسر درسه كما قال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[٦]، ولما كان علم التفسير من أجل العلوم وأشرفها ألزمت نفسي دراسة هذا العلم ملتمساً به التقرب إلى الله العلي الكبير.

ولما كان موضوع الأخلاق والآداب الإسلامية في غاية الأهمية في مجتمعنا الإسلامي فقد كتبت بحثاً تناولت فيه ضوابط وآداب المجتمع الإسلامي من خلال سورة الحجرات، وهو موضوع عظيم الأهمية في حياتنا اليوم في زمان تلفق للإسلام فيه كل تهمة وعيب زوراً وبهتاناً، وكأن الأعين قد عميت عن أمثال سورة الحجرات التي تهدي – كما يهدي القرآن كله– إلى التي هي أقوم، لاسيما بعد عقود من تخبط البشرية بين نظريات الشرق والغرب وترهات الفلاسفة والأخلاقيين الموهومين، فإذا بالعالم اليوم أشد تخبطاً بعد هذه النظريات منه قبلها، وبات لزاماً علينا معشر المسلمين أن نبين للعالم كنوز هذا الدين وروائعه عساهم يفيئون إلى الله ويفرون إليه من شقاوات الشيطان.

وتمخض عن ذلك ثلاثة مباحث عرضت في أولها تعريفاً عاماً بالسورة،

أما المبحث الثاني فكان عن سلوكيات المجتمع الإسلامي، وتناول ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: آداب المؤمنين مع الله ورسوله.

والمطلب الثاني: آداب السياسة الشرعية.

والمطلب الثالث: آداب تعامل المجتمع المسلم فيما بينهم.

وأما المبحث الثالث فكان عن الأسلوب القرآني في تقرير آداب المجتمع من خلال هذه السورة، وتناول هذا المبحث مطلبين:

المطلب الأول: تنوع أسلوب الخطاب في التوجيهات التربوية.

والمطلب الثاني: التأكيد على جملة من المبادئ العامة.

وختمت هذا البحث المتواضع بالخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

وأما بالنسبة لمصادر هذا البحث فقد تمثلت بالوقوف على معظم المصادر الموثوقة من كتب التفسير وكتب علوم القرآن، ولم تبعد عني أهمية كتب الحديث لما لها من علاقة وثيقة بينها وبين موضوعي.

وأخيراً وليس آخراً: فإني قد بذلت غاية جهدي في إتمام هذا البحث وإخراجه بالشكل المناسب له، فإن وفقت لما كتبت فذلك فضل الله علي، وإن أخطأت فمن جانبي البشري الناقص، ورحم الله من أقال عثرتي ونبهني إلى هفوتي وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الاول
تعريف عام بسورة الحجرات

تتألف سورة الحجرات من ثمانية عشرة آية وهي سورة مدنية[٧]، وقد حكى الإمام القرطبي الإجماع على ذلك[٨]، واسمها (الحجرات) بضمتين جمع حجرة – بسكون الجيم– والمراد بها بيوت أزواج النبي ﷺ[٩]، لمكان نداء الرجل من وفد بني تميم للنبي ﷺ من وراء الحجرات كما ورد من عدة طرق كما سيأتي إن شاء الله لأحقا.

وإن المتأمل في مضمون هذه السورة يجدها تتناول الكثير من الضوابط والآداب التي تحكم سير المجتمع الإسلامي بما يضمن له الانضباط والانقياد لإمرة هذا الدين العظيم، ويجدها ترتقي بالمجتمع الإسلامي وأفراده إلى آفاق خلقية سامية، ولقد تأملت السورة فاستخلصت بعض

الخصائص المميزة التي ساهمت في تحقيق مهمتها من حيث توجيه وتأصيل المنظومة الأخلاقية للمجتمع الإسلامي حتى صح أن توصف هذه السورة بأنها سورة الأخلاق في القرآن الكريم، وفيما يلي بيان بعض هذه الخصائص:

١. تناولت هذه السورة على قصرها كل محاور العلاقات الاجتماعية فبينت ضوابط علاقة المجتمع المسلم بمصدر التشريع، وعلاقة المجتمع المسلم بغيره من المجتمعات، وعلاقته ببعضه البعض أفراداً وجماعات وبينت منظومة المجتمع الأخلاقية التي تحلي جيده، كما بينت علاقته بالإنسانية جمعاء، فكانت آية في الإيجاز والإعجاز بحيث قدمت ما عجزت الحضارات الإنسانية جمعاء من تقديمه أو تقديم جزء منه على مدى التاريخ، وها نحن اليوم في القرن الحادي والعشرين والإنسانية لا تزال تتخبط وتتناقض في ضبط علاقاتها وتكييف أخلاقها، ولكن هيهات أن يأتي المخلوق بمثل ما أتي به الخالق لأ.

٢. يلاحظ أن معظم آيات هذه السورة الكريمة قد نزلت في مناسبات محددة، ومعلوم أن آيات القرآن تنقسم إلى ما نزل لمحض هداية البشر وما نزل للحكم والفصل على واقعة معينة، ولهذا الأمر أهميته القصوى بسبب طبيعة الأمور التي تعالجها هذه السورة، فالأخلاق النظرية المتولدة عن أهواء واضعيها تبقى نظريات مدفونة في كتابات أصحابها ومنظريها لا تلبث أن تئدها الفطرة السليمة فور ما تصطدم بها في معترك الواقع، أما الأخلاق السليمة فهي القادرة على التعامل المباشر مع الواقع الاجتماعي بكل ما فيه من انحراف وخطأ بحيث لا تعجز عن النزول إلى الميدان الاجتماعي مهما كان، فتتعامل معه وتترجم التوجيهات الأخلاقية إلى سلوكيات واقعية عملية تصحح الزلل وتقوم الانحراف، وهذا ما تم فعلاً من خلال تنزلات آي السورة على جملة من الوقائع والأحداث الحقيقية كما سيتبين معنا إن شاء الله.

٣. التناسب الدقيق ما بين الآيات وخواتيمها- وهو متحقق في القرآن الكريم كله- ولكنه شديد الوضوح والأهمية في هذه السورة بسبب طبيعة الأمر الذي تتناوله، ففي مقام التنفير من أبشع السلوكيات وفي أكثر مشاهد السورة نفوراً للطبع السليم يأتي التذكير بالتقوى مشفوعاً بالتذكير بالتقوى مشفوعاً بالتذكير بأن الله تواب رحيم، وفي مقام رد جفاة الأعراب عن اقتحامهم مجال العلم والعقيدة والسلوك على غير هدى يفتح باب التوبة بالتذكير بأن الله غفور رحيم، وهكذا.

والحقيقة أن أي وصف لخصائص هذه السورة سيأتي قاصراً عن الوفاء بحق الموصوف، ولا مندوحة للمرء عن معاينة هذه السورة تلاوة وتدبراً وتطبيقاً حتى يستطيع التحليق في سمائها والتمثل بتوجيهاتها، نعم إنها سورة الأخلاق في القرآن الكريم.

المبحث الثاني
سلوكيات المجتمع الإسلامي في التعامل

إن المجتمع الإسلامي مجتمع محكوم بشرع الله سبحانه وتعالى؛ وهذا يعني أن تركيب هذا المجتمع يعتمد على ثلاثة أقطاب:

مشرع ومبلغ ومفنذ منقاد، وإن هذا التركيب يفرض أنواعاً من التعاملات والسلوكيات ما بين الرعية والسلطة التشريعية من جهة، والقيادة والرعية من جهة، وأفراد المجتمع من جهة أخرى، ولسوف نتناول فيما يلي مجموعة الآداب بحسب جهة التعامل كما وردت في هذه السورة إن شاء الله.

المطلب الأول- آداب المؤمنين مع الله ورسوله.

لاشك أن تحرير أداب التعامل مع الله سبحانه وتعالى، ومع الرسول ع باعتبار دوره التشريعي(١٠) هو الخطوة الأولى في تزكية المجتمع الإسلامي، وهو ما افتتحت السورة الكريمة به تأصيلاً وتأديباً لجماعة المسلمين.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ ﴾(١١).

ولقد تعددت روايات أسباب نزول هذه الآيات ولكنني أقتصر على ذكر بعضها ملتزماً ما صح من جهة ومقتصراً على ما يفي بغرض إظهار المسلك التربوي لهذه السورة من جهة أخرى.

فقد روى ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا أبا بكر وعمرم، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع

وأشار الآخر برجل آخر – قال نافع[١٢] لا أحفظ اسمه– فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ ﴾ الآية[١٣]، وفي رواية ابن جريج، فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ ﴾[١٤]، ولقد وردت –كما قلت– أسباب أخرى لنزول الآيات، ولكن في هذه القصة الصحيحة الثابتة ما يكفي من حيث بيان معالم الأدب في التعامل مع الجهة المشرعة عموماً، وبعض خصائص التعامل مع شخص النبي ﷺ خصوصاً، كما سنبينه لاحقاً، ولكني أردت التعليق على بعض الأمور الظاهرة في قصة الشيخين أبي بكر وعمر م.

١. إن نفس القصة وكونها في تقديم الرأي في تعيين أمير على وفد من الوفود قصة قد يراها البعض هينة غير ذات شأن، ومع ذلك كان الأخذ شديداً على يد من خرق ضوابط وقواعد الأدب في التعامل مع الله لأ ورسوله ع من حيث التقدم بالحديث والرأي قبل بيان الأمر من جهة المشرع؛ إن الجرأة على الله لأ ورسوله ﷺ غير مقبولة وغير واردة البتة من أي فرد من أفراد المجتمع الذي يجب أن يكون دأبه: من الله الأمر وعلى الرسول البلاغ وعلينا السمع والطاعة.

٢. إن الأخذ على يد الشيخين الصحابيين الجليلين المبشرين بالجنة وهما خير هذه الأمة بعد نبيها ع دليل آخر على حساسية الأمر وأهمية المبدأ، وتأمل معي لفظ راوي الحديث: كاد الخيران أن يهلكا أبا بكر وعمر م قلت: فإذا كان الخيران أن يهلكا بمثل هذه المعصية فما بالك بمن هو دونهما في الفضل والإيمان والمكانة؟! الأمر العظيم إذا والخطب جلل بلا ريب.

٣. تكفل الوحي بذم هذه المخلفات مباشرة لا عن طريق السنة النبوية لئلا يكون هناك أي حرج في ذلك الذم من قبل النبي ﷺ الذي كان شديد الحب لأصحابه، ولربما استحيا أن يوبخهم على فعلهم، وقد وردت مراعاة هذا الأصل في غير موضع من القرآن كما قال لأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾[١٥]، فكذلك ها هنا تكفل الله أ بالانتصار لنبيه ﷺ وبيان الحق كاملاً، وهذا أيضاً دليل على أهمية هذا الأصل وحساسية هذا الأدب والسلوك، وسأتكلم هنا عن أبرز الآداب والسلوكيات التي تناولتها السورة.

أولاً: حرمة التقديم بين يدي الله ورسوله.

والأصل في هذا قوله لأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾[١٦]، والحقيقة إن هذا الأدب يتناول أمرين اثنين؛ أحدهما توقف المسلم في الأمور الشرعية حتى يأتي بيانها من الشرع والثاني الأدب اللازم في حضرة شخص النبي ﷺ.

أما بالنسبة للأمر الأول فهو ما عناه مجاهد بقوله: ﴿ لَا تُقَدِّمُواْ ﴾ لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ حتى يقضي الله على لسانه[١٧]، فهذا نهي صريح للمسلمين كافة عن أن يستبقوا خبر الشرع فيما هو من جنس التشريع أو الخبر الشرعي، لأن ذلك دال على تقديم العقل على النقل ودال على جرأة على الله لأ محرمة مذمومة قطعاً. قال الإمام القرطبي في تفسير الآية: أي لا تقدموا قولاً ولا فعلاً بين يدي الله وقول رسوله وفعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر الدين والدنيا[١٨].

وأما الأمر الثاني المتعلق بمراعاة الأدب الشرعي في حضرة النبي ﷺ فهو يصب في نفس البوتقة ولكن له نوع خصوصية من حيث مراعاة وجود شخص النبي ﷺ في المجلس، بحيث يكون إثم التقدم بالرأي بين يدي الشارع أعظم لاجتماع الغفلة عن حق الشارع المطلق في التشريع مع تجاهل وجود النبي ﷺ الذي يجب أن يكون أدعى إلى استحضار التوقف بين يدي الشارع وعدم المبادرة بإبداء الرأي، والله أعلم.

ثانياً: تحريم رفع الصوت بين يدي النبي ﷺ.

ولقد ورد هذا النهي صريحاً في قوله لأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾[١٩] وفهمه الصحابة فهماً ظاهراً وتمثلوه سلوكاً عملياً لازماً لهم، وتأمل معي هذين النموذجين الذين يجسدان سرعة استجابة وامتثال الصحابة لأوامر الشرع.

فبعد حديث ابن أبي مليكة السابق جاء: قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه[٢٠] قلت: وهذا مبالغة منه في امتثال النهي والتزام الأدب معه ﷺ... ثم انظر إلى النموذج الأخر في هذه الحديث: عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه، فقال: ما شأنك؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار. فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال موسى[٢١]: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال: «**اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة**»[٢٢]، وهذه

المواقف إن دلت على شيء فإنما تدل على لزوم هذا الفهم الظاهر وأن المنهي عنه هو رفع الصوت الحسي حقيقة، حتى إن الصحابة رضوان الله عليهم ثابروا على هذا الأدب بعد وفاة النبي ﷺ، فقد روى الحافظ ابن كثير عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه سمع صوت رجلين في مسجد رسول الله ﷺ قد ارتفعت أصواتهما، فجاء فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً[٢٣].

وأود أن أشير في هذا المقام إلى أن التوجيه إلى هذا الأدب لا يقتصر على رفع الصوت الحسي في حضرة النبي ﷺ لاسيما ونحن نعلم أن من اساليب الخطاب الشرعي التنبيه بالأدنى على الأعلى؛ بمعنى أنه إذا كان مجرد رفع الصوت الحسي محرماً ومدعاة لحبوط الأعمال كما هو ظاهر النص فلأن يرفع الإنسان صوت عقله وأفكاره على ما جاء به النبي ﷺ أشد حرمة وقبحاً في ميزان الشرع، تأمل معي قول عمر بن الخطاب ذاماً هؤلاء: إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنة، أعيتهم أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها، واستحيوا حين يسألوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم، فإياكم وإياهم[٢٤]، فلاشك أن هذا الأدب الحسي منبه على ما هو فوقه من الآداب، تماماً كما أن تحريم قول أفٍ للأبوين دال على تحريم ما هو فوقه من ضرب وأذى معنوي وإن لم تصرح به الآية[٢٥].

ويلاحظ أن السورة الكريمة سلكت مسلك الأمر والنهي في تقرير هذا الأدب؛ فنهت عن رفع الصوت من جهة، وأمرت بغض الصوت بين يدي النبي ﷺ من جهة أخرى، ولم تقف الآية الكريمة عند هذا الحد بل أكدت على أن تحقيق هذا الأدب هو المعيار الحقيقي لتمكن التقوى من قلب المرء، قال لأ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ ﴾[٢٦]، وهذا النص يدل بمفهوم المخالفة على أن الذين لا يغضون أصواتهم عند رسول الله لم تمتحض التقوى في قلوهم تمام التمحض، بل ربما لم تكن أهلاً للتقوى ولا محلاً قابلاً لها والعياذ بالله.

ثالثاً: تحريم الجهر بالقول للنبي ﷺ.

الجهر لغة: من الجهرة أي ما ظهر، وجهر الكلام أي أعلن به[٢٧]، وهذا الجهر المنهي عنه لابد من تحرير ضابطه، إذ أن النهي المطلق عن مخاطبة النبي ﷺ غير متصور شرعاً ولا عقلاً، فطبيعة الرسالة تستلزم قدراً أدنى من التخاطب والتحاور والكلام، ولهذا جاء النهي في الآية مقيداً – فقال لأ: ﴿ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ ﴾[٢٨].

وفسر الجهر برفع الصوت كما فسر بالخطاب المعتاد بين الناس من التنادي بأسمائهم المجردة، قال الإمام القرطبي: أي لا تخاطبوه: يا محمد ويا أحمد، ولكن: يا نبي الله ويا رسول الله ﷺ توقيراً له[٢٩]، وقال الحافظ ابن كثير: ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبة ممن عداه، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم[٣٠].

قلت: فمدار كلام المفسرين على توقير واحترام رسول الله ﷺ وعدم التخاطب معه كما يخاطب أحدنا الآخر، وذلك كما قال لأ: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[٣١]، ويدخل في هذا النهي كل ما كان مخلاً بالوقار والتعظيم، فلا ينادى بأسمه المجرد ولا يرفع الصوت ولا يتقدم بالكلام دون إذن، بل لو قال أحدهم إن رفع الصوت في مجالس العلم وبحضرة العلماء فيه نوع إخلال بهذا الأدب باعتبار أن العلماء هم ورثة الأنبياء لما بعد عن الصواب.

والخلاصة أنه لم يكن النبي ﷺ يحتجب عن الناس قط إلا لحاجة لا يسعه إهمالها سواء أكانت لإصلاح شأن أهله أو بيته أو نفسه فيما بينه وبين الله لأ، فكان – والحال كذلك– من سوء الأدب أن يقوم أحد من الناس بإزعاجه ﷺ في هذه الأوقات الخاصة اليسيرة، وكان من سوء الأدب التطاول على خلوته ﷺ بأهله لأمر ليس ذي بال، كما حصل من الأقرع بن حابس – من وفد بني تميم – حين نادى النبي ﷺ من وراء حجرات أزواجه ﷺ فقال: إن مدحي زين وإن ذمي شين[٣٢]. فأي أمر هذا الذي يزعج النبي ﷺ لأجله، ولذلك جاءت الآيات ناهية عن مثل هذا ومنبهة إلى السلوك اللائق وهو انتظار النبي ﷺ حتى يخرج للمسلمين حين يكون مستعداً لهم متفرغاً لهم وغير منشغل عنهم بأمور أخرى فإن ذلك أدعى لتحقيق مصالح المسلمين من جهة ومراعاة احترام النبي ﷺ من جهة أخرى، ولذلك قال لأ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾[٣٣].

هذه جملة من الآداب التي تضبط تعامل المجتمع المسلم مع الجهة المشرعة ومع شخص الرسول ﷺ، ورغم ما في بعض هذه الآداب من خصوصيات متعلقة بالنبي ﷺ إلا أنها تحدد للمجتمع المسلم إطاراً أدبياً وسلوكياً يضبط التعامل مع رموز السلطة الإسلامية بما يحفظ للدولة الإسلامية هيبتها، فنحن إذا نظرنا إلى اجتماع دور النبوة ودور القيادة في شخص النبي ﷺ تبين لنا أن لأئمة وحكام الأمة الشرعيين نصيب من هذه الآداب باعتبار جهة القيادة والإمامة التي هي موضوعة – كما قال الإمام الماوردي– لخلافة النبوة في حماية الدين وسياسة الدنيا به[٣٤]، وإنما ذكرت هذا لئلا يتوهم أو يوهم البعض بأن هذه الآيات والآداب قد طويت في

سياقها التاريخي ولم يعد لها أثر ملزم بعد وفاة النبي ﷺ وقد بينا في ثنايا الكلام المتقدم نقيض هذه الأوهام فلله الحمد وعليه التكلان.

المطلب الثاني- آداب السياسة الشرعية.

وهنا جملة من الضوابط التي يجب أن تتحلى بها القيادة الإسلامية مما يدور في فلك السياسة الشرعية ولكنه لصيق الصلة بمنظومة الأخلاق والسلوك الاجتماعي لأن مداره على التفاعل مع المجتمع والتعامل مع ما يرد عليه من أخبار وما يطرأ عليه من أحداث، وتتمثل هذه الضوابط في الآيات الخمس التالية من هذه السورة الكريمة، قال لأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[٣٥].

فالقيادة المسلمة تجد نفسها أمام التزام أخلاقي يفرض عليها التريث والتحقق قبل اتخاذ القرارات وعدم الجري وراء كل شائعة وشاردة وواردة، وإلا فإنها قد تدفع بالمجتمع المسلم إلى العنت والمشقة، كما قال لأ: ﴿ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ ﴾[٣٦]، كما أنها أمام التزام أخلاقي يفرض عليها الحفاظ على رباط الأخوة الإيمانية في نفس الوقت الذي تدعم فيه أركان الأمن السياسي في الأمة المسلمة، ولنستعرض مقومات هذه المنظومة في ضوء هذه الآيات الكريمات:

أولاً: الأمر بالتبيين والتدقيق في الأخبار.

لاشك أن القيادة الإسلامية هي مركز تلقي الأخبار في المجتمع المسلم كما أمر الله لأ في قوله لأ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾[٣٧]، فلما كان الأمر كذلك وكان يترتب على مثل هذه الأخبار أمور عظام وقرارات مهمة كان الواجب على القيادة المسلمة أن تتبين وتتثبت قبل أن تتصرف بناء على هذه الأخبار ولاسيما إذا كان ناقلوها غير عدول، ولابد من أن ننظر في سبب نزول هذه الآية المتعلقة بالتثبت بالأخبار لندرك خطورة ما قد يترتب على الإخلال بهذا الضابط.

فقد وردت عدة روايات – مع ملاحظة ضعفها– في أن هذه الآية نزلت بسبب الوليد بن عقبة بن أبي معيط وما افتراه على بني المصطلق من حبسهم الزكاة عن رسول الله ﷺ حتى أرسل النبي ﷺ إليهم بعثة وكادوا يقاتلونهم على منع الزكاة لولا أن الحارث بن ضرار استقبل بعث رسول الله ﷺ وبين لهم الأمر وأنهم استبطأوا جابي الزكاة، فجلا الأمر وتبين على تنوع في سياق بعض الروايات(٣٨)، والحادثة تبين لنا – بغض النظر عن ضعفها– ما قد يترتب من عدم مراعاة القيادة الإسلامية لضابط التثبت والتبين في الأخبار لاسيما تلك التي تترتب عليها تبعات وقرارات مهمة قد تضر بالمجتمع المسلم، ولاشك أن هذا السلوك مما يجب على الفرد التزامه أيضاً في سياق تعامله مع الغير تجنباً لسوء الظن كما سنبين في موضعه إن شاء الله.

وهنا نكتة دقيقة وهي أن أمر الله لأ بالتبين والتثبت في خبر الفاسق يدل على عدم إهمال خبر الفاسق مطلقاً في نفس الوقت الذي لا يعتمد عليه بثقة مطلقة(٣٩)، فلا يقال: خبر فاسق لا يؤبه له، إذ ربما فوت ذلك على الأمة مصلحة ما قد تكون حقيقة في نفس الأمر، وقد ضبطت الآية الهدف من التبين وعللته بالحذر من الوقوع في المفاسد ومنها إصابة قوم من المسلمين بجهالة وما يترتب على ذلك من ندم.

إن المجتمع الإسلامي لا يخرج عن طبيعته البشرية التي قد تدفع به أحياناً إلى بعض المواقف التي تحيد بأفراده عن الجادة، فتوقع الضغائن والشحناء مع ما يترتب على ذلك من خصومة وشجار وربما قتال في بعض الأحيان؛ وتأمل معي حديث أنس قال: قيل للنبي ﷺ لو أتيت عبد الله بن أُبي فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حماراً فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي ﷺ فقال «**أي عبد الله بن أُبي**»: إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك.

فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنها أنزلت: ﴿ **وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا** ﴾(٤٠).

وهذه القصة الثابتة في الصحيحين تقدم لنا مثالاً واقعياً لطبيعة ما قد يحتدم بين المسلمين من خلاف وكيف يجب على القيادة الإسلامية – بل وعلى كل من له وجاهة وسلطة مؤثرة– أن يعمل على رأب الصدع وتجاوز الخلاف حفاظاً على رابطة الأخوة الإيمانية.

ولاشك إن إصلاح ذات البين من أهم مقومات سلامة المجتمع الإسلامي كما جاء في حديث أم الدرداء عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام**

والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة»[٤١].

ثالثاً: قتال البغاة.

في بعض الأحيان لا تجدي مساعي الإصلاح السلمي في رفع الخصومات ووقف الاقتتال، بل قد تتميز فئة من المسلمين وتنحاز بقوة قتالية تواجه بها فئة أخرى من المسلمين أو ربما المجتمع الإسلامي بأسره فيتربص خطر الفتنة بأمن وسلامة المجتمع كله وتجد القادة الإسلامية نفسها أمام خيار وحيد هو القوة في مواجهة القوة؛ قوة الحق الضاربة على الباطل ولو كان هذا الباطل متمثلاً في إخوة لنا في الدين.

قال لأ: ﴿ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ﴾[٤٢]، ولقد أكدت السنة النبوية المطهرة على تقرير هذا الضابط الشرعي بل وأنه يحصل حقيقة وبين خيار الناس، فعن أبي بكرة قال: «سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين »[٤٣]، وقد كان كما قال ﷺ.

والحقيقة أن هنا استطراداً لابد منه لما يصيب كثيراً من المسلمين من التباس حول مسألة قتال البغاة مع رسوخ حرمة قتل المسلم في أذهانهم متوهمين تعارضاً بين النصوص وتضارباً وتناقضاً في الشريعة، ولسوف أوجز في بيان جملة من ضوابط هذا القتال ليتميز عن غيره من القتل والقتال غير المشروع؛ فأما من دواعي هذا القتال فقد ذكر الإمام الماوردي في قوله لأ: ﴿ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى ﴾[٤٤] وجهان؛ أحدهما: بغت بالتعدي في القتال، والثاني: بغت بالعدول عن الصلح وقوله لأ: ﴿ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى ﴾[٤٥] يعني بالسيف ردعاً عن البغي وزجراً عن المخالفة[٤٦].

وقد جعل الشرع لهذا القتال غاية محددة، قال الماوردي في قوله لأ: ﴿ حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾[٤٧] وجهان:

أحدهما حتى ترجع إلى الصلح الذي أمر الله لأ به- وهو قول سعيد بن جبير والثاني: إلى كتاب الله وسنة رسوله فيما لهم وعليهم وهذا قول قتادة[٤٨].

هذا ويختلف قتال البغاة عن قتال المشركين والمرتدين من ثمانية أوجه فلا يتعمد قتلهم - أي البغاة- ويكف عنهم مدبرين، ولا يذفف على جرحاهم، ولا يقتل أسراهم، ولا يغنم أموالهم

أو يسبي ذراريهم، ولا يستعين على قتالهم بمشرك أو ذمي، ولا يهادنهم أو يوادعهم إلى مدة، ولا ينصب عليهم المجانيق ولا يقطع شجرهم أو يحرق مساكنهم(٤٩).

فهذه خلاصة جملة الضوابط والآداب الواردة في هذه السورة والتي يتعين على القيادة المسلمة التزامها، ولاشك أن التزامها ما بين الأفراد وفي التكتلات الاجتماعية الأصغر مطلوب مع مراعاة بعض الحيثيات التي لا يحق لغير القيادة والسلطة التصرف من خلالها، ولهذه الخصوصية أفردت هذه الضوابط تحت عنوان (آداب السياسة الشرعية).

المطلب الثالث- آداب تعامل المجتمع المسلم فيما بينهم.

إن تعامل المسلمين مع بعضهم البعض أمر لازم في سياق الحياة الاجتماعية اليومية، وهو مظنة كثير من الانحرافات والأخطاء والتعديات التي نراها تكاد تفتك بالمجتمع وتفرط عقد الجماعة وتطعن في مصداقية الأخوة الإيمانية مع الأسف.

ولقد اهتمت هذه السورة بتصحيح جملة من المفاهيم والتنفير من مجموعة من السلوكيات الخلفية المنحرفة الشائعة، لترتفع بأفراد المجتمع فوق فوضى انعدام الأخلاق إلى أفق وسمو المجتمع الإنساني المسلم بحق.

وإن المتدبر في هذه السورة العظيمة يجد عرضاً موجزاً في آيتين اثنتين لا أبالغ إذا قلت إن فيهما ما يكفي لضبط أي مجتمع بضابط من الأخلاق ينأى به عن أي خلل مؤثر في سير المجتمع وعلاقة أفراده ببعضهم البعض، وما الإعجاز إن لم يكن هذا؟ تأمل هذه الكلمات الموجزة المعجزة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾(٥٠).

فقد أجملت هذه الآيات ست قبائح خلقية اجتماعية لا يتصور قيام مجتمع راق خلوق يرضى باستقرار لوثة من لوثاتها فيه، وهذه القبائح الست هي: السخرية واللمز والتنابز بالألقاب واتهام المؤمنين بالظنون الضعيفة والتجسس على المؤمنين والغيبة للمؤمنين المتقين.

وقبل استعراض هذه القبائح منفردة أشير إلى لطيفة تتمثل في الألوان التعبيرية التي جاء النهي بها عن كل من هذه القبائح، يقول عبد الرحمن حبنكة الميداني في كتابه قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله: «ويلاحظ في هذا النص أن كل نهي فيه قد انفرد بلون تعبيري ذي دلالة

خاصة قابلة لأن تكون شاملة للمنهيات الأخرى؛ ففي السخرية: ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾ وفي اللمز ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾، وفي التنابز ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ﴾، وفي الظن المنهي عنه ﴿ ٱجْتَنِبُواْ ﴾، وفي التجسس ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾، وفي الغيبة ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ ويلاحظ أنه يصح في كل منها استعمال التعبيرات الأخرى لتؤدي فيه دلالتها فيقال مثلاً في السخرية «لا تسخروا من أنفسكم- لا تتساخروا- اجتنبوا السخرية- لا تسخروا- لا يسخر بعضكم من بعض».

ومع ذلك فقد اختير لكل قبيحة من هذه القبائح الست صيغة التعبير التي تدل على أبرز صورة من صورها»[٥١]، وهذا في الحقيقة من روائع الإعجاز البياني القرآني من حيث استيعاب كل المعاني بأوجز أسلوب مؤثر، ولسوف أستعرض تلك المناسبة بين الصيغة والقبيحة عند بيان كل منها إن شاء الله.

أولاً: النهي عن السخرية.

إن هذا السلوك الاجتماعي الشائن يعكر على أفراد المجتمع السليم صفو علاقتهم ويكدر صفاء مبادئهم، فلا يسلم الاعتقاد بأفضلية المسلم وتساويه في الحقوق مع أخيه المسلم مع الاستهزاء به والسخرية منه، فكان لابد من توجيه قرآني يلفت الانتباه إلى أصل الرابطة الإيمانية المشتركة بقوله لأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ثم يأتي النهي بلون تعبيري مميز: ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾، ﴿ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ ﴾؛ لأن السخرية تغلب فيها المشاركة، فناسب أن يأتي النهي بهذا اللون[٥٢]، كما ناسب إفراد النساء عن الرجال في النهي لأمرين:

أحدهما كثرة وقوع ذلك منهن فكان عطفهن على القوم- وإن كن داخلات فيهم أصلاً- من باب عطف الخاص على العام لبيان شدة الاهتمام بنهيهن عن هذا السلوك.

والثاني- أشار إليه صاحب قواعد التدبر الأمثل- أن فيه إشارة إلى أن النساء لا يخالطن الرجال في المجالس الاجتماعية فناسب تذكير ونهي كل على حدة[٥٣].

والسخرية منافية لخلق المسلم لأن فيها استعلاء بغير الحق، ولذلك نبهت الآية الكريمة على ذلك: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾، أي الخيرية الشرعية، فذلك الذي تسخر منه لأمر دنيوي قد يكون خيراً منك في المعيار الشرعي فيكون استعلاؤك عليه تقديم لأمر الدنيا على أمر الآخرة، وتقديم لهوى النفس على معيار الشرع والعياذ بالله، هذا بالإضافة إلى ما تحدثه هذه السخرية من غل في النفوس وشر بين الناس حتى إن الله علم نبيه ﷺ والمسلمين أن يستعيذوا به من هذا الشر، قال -: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[٥٤].

ثانياً: النهي عن اللمز والتنابز بالألقاب.

واللمز في اللغة العيب والإشارة بالعين ونحوها[٥٥]، والمعنى في قوله لأ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[٥٦] أي لا يلمز بعضكم بعضاً، وذلك كقوله لأ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[٥٧] أي لا يقتل بعضكم بعضاً[٥٨].

وفي هذا الأسلوب التعبيري ما يشير إلى أن من لمز وعاب أخاه المسلم فكأنما لمز وعاب نفسه، وهذا قبيح مرغوب عنه، فوجب ترفع المرء عنه تماما كما يترفع عن كشف مساويه وعيوبه للناس وإن كانت فيه في نفس الأمر.

ولقد ورد الوعيد الشديد لمن قارف هذه القبيحة في موضع آخر من القرآن الكريم حيث قال لأ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[٥٩]، وعد هذه الخصلة من جملة الخصال الذميمة حيث قال: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾[٦٠].

أما النبز لغة اللمز، ونبزه ينبزه: يلقبه، والتنابز: التعاير والتداعي بالألقاب[٦١].

و"تنابز" على وزن تفاعل، وهو يشير إلى تبادل الفعل بين جانبين، فهو فعل تغلب فيه المشاركة لأن من نبزه غيره بلقب رد عليه المنبز بلقب آخر غالباً، ولهذا جاء التعبير في النهي بصيغة: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ لأنه أقرب إلى حكاية الواقع.

ولقد نفرت السورة الكريمة من هاتين الخصلتين القبيحتين بوصف من تلبس بهما بالفسوق، وبينت أنه لا يليق بمن من الله عليه بوصف الإيمان أن يعدل عنه إلى وصف الفسوق فقال لأ: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾[٦٢].

ثالثاً: النهي عن سوء الظن بالمؤمنين.

إن من الإثم أن يتهم المسلم أخاه المسلم ويخونه، وما ذلك إلا إثم محض حري بالمسلم أن يجتنبه ويترفع عنه، ولما كانت كثرة الظنون مفضية إليه جاءت السورة بالتوجيه الرباني لتأمر المؤمنين باجتناب الظن احتياطاً لاحتمال التهمة في غير محلها، وما ذلك التحفظ والاحتياط إلا لعظم حرمة المسلم وشدة قبح هذه الرذيلة، فقال لأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[٦٣] فناسب أن يأتي أسلوب التعبير بالاجتناب الكلي لأن من جرى مع ظنونه واسترسل معها أوصلته إلى ما لا يحمد عقباه مما يأثم به حتماً، ولقد جاءت السنة النبوية المطهرة لتؤكد هذا النهي حيث قال ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[٦٤]، فكان هذا أبلغ ما يكون في تطهير المجتمع المسلم من هذه القبيحة.

خامساً: النهي عن التجسس.

قال الحافظ ابن كثير: والتجسس غالباً يطلق على الشر، ومنه الجاسوس، وأما التحسس فيكون غالباً في الخير، وقد يستعمل كل منهما في الشر(٦٥)، والشاهد أن النهي قد جاء في الآية باللفظ الذي يغلب استعماله في الشر فقال لأ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، وهنا نكتة لطيفة وهي أن المرء لا يقوم بالتجسس على غيره عادة إلا عندما يتهمه ويسيء الظن به، فناسب – والحال كذلك– أن يكون الترتيب في النهي في هذه الآية عن سوء الظن أولاً ثم عن التجسس، وما هذا التناسب إلا دليل من الأدلة الكثيرة على موافقة التوجيهات الشرعية للطبائع البشرية، قال لأ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(٦٦).

سادساً: النهي عن الغيبة.

ذكر الحافظ ابن كثير الإجماع على تحريم الغيبة، ولقد بين الشارع الحكيم ضابط الغيبة حيث جاء في الحديث عن أبي هريرة ا قال: قيل يا رسول الله، ما الغيبة؟ قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»(٦٧)، ولقد جاءت السورة بصورة شديدة التنفير من هذه الرذيلة والقبيحة الاجتماعية؛ فشبهت غيبة الرجل أخاه بأكل لحمه ميتاً حيث قال لأ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾(٦٨)، وهذا التشبيه التمثيلي من أروع الأساليب القرآنية وأشدها تأثيراً في نفس المكلف، ولهذا التشبيه أوجه عدة بين المشبه والمشبه به؛ أولها أن الذي يغتاب لا يعلم أن أخاه يغتابه تماماً كما أن الميت لا يعلم من يأكل لحمه، وثانيها أن الذي يغتاب أخاه الحي قد هتك حرمة أخيه تماماً كما أن آكل لحم أخيه ميتاً قد هتك حرمته، وثالثها أن الغيبة أمر مستقذر في الطبائع السليمة تماماً كما أن أكل لحم الميت أمر مستقذر طبعاً، وكل هذه المعاني دائرة حول تنفير المكلف من هذه الخصلة المرذولة وتبشيعها في نفسه كما هي بشعة في نفس الأمر.

وبهذا تكتمل جملة القبائح الاجتماعية التي نهت عنها السورة، وإن المتدبر ليدرك أن المجتمع الذي يستطيع تخليص نفسه وأفراده من هذه الرذائل مجتمع قمن بارتقاء أسمى مراتب الرقي الاجتماعي والإنساني بل والتعبدي عندما يؤطر كفه عن هذه المنهيات في إطار الإنقياد لأمر الله لأ.

المبحث الثالث

الأسلوب القرآني في تقرير آداب المجتمع من خلال هذه السورة

لاشك أن منظومة الآداب التي عرضتها السورة على قصرها وإيجازها تشكل توجيهاً تربوياً معجزاً في حد ذاته، إلا أن حقيقة الإعجاز تتمثل في الأساليب التي قررت السورة من خلالها هذه الآداب لتترسخ حقائق ثابتة مستقرة في الضمير الإسلامي بحيث لا يكون انخرامها إلا نتيجة زلة أو كبوة عابرة، ولسوف أعرض هاهنا بعض معالم المنهج القرآني في هذه السورة التي تم من خلالها هذا التوجيه لتكتمل منظومة الإعجاز التربوي لهذه السورة العظيمة.

المطلب الأول- تنوع أسلوب الخطاب في التوجيهات التربوية.

لقد تعددت وسائل التوجيه التربوي في هذه السورة الكريمة، ولم يكن هذا التعدد مجرد تنويع لغرض التنويع، وإنما غاية التوافق بين الغاية التربوية والطبيعة البشرية وفيما يلي إشارات عابرة لجملة من تلك الوسائل.

أولاً: الترغيب والترهيب.

إذا تأملنا مجموع الآيات التي ضمت الآداب والضوابط المتقدمة ظهرت لنا مجموعة من إشارات الترهيب والترغيب التي تذيل تلك الآيات بحيث تعمل مجتمعة على تحقيق منظومة متزنة من الدوافع والموانع التي تدفع الفرد المسلم والمجتمع نحو السلوك المرغوب فيه وتحجزه عن السلوك المرغوب عنه.

فعلى صعيد الترهيب تجد قوله لأ: ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾(٦٩) تحذير وترهيب من عواقب الافتئات على الله ورسوله، وفي مقابل ذلك قوله لأ ترغيباً في حال الملتزمين بأدب التوقف بين يدي الرسول ﷺ: ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(٧٠)، وكذلك تجد وصف ﴿ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(٧١) يقابله فتح باب التوبة والمغفرة ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٧٢).

وبهذا يتحقق التوازن بين الترغيب والترهيب توافقاً مع الاستعداد المزدوج في النفس البشرية لتحصيل ما فيه خيرها ودرء ما فيه شرها ومفسدتها، وما هذا إلا شاهد من الشواهد الكثيرة على فطرية هذا الدين ومصدريته من لدن حكيم عليم، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

ثانياً: التذكير بنعمة الله وفضله.

والتذكير بفضل الله مدعاة للالتزام بالهدي الإلهي والوقوف عند توجيهاته، تأمل على سبيل المثال قوله لأ: ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ فجعل العصيان والفسوق والكفر في مقابل نعمة الإيمان بحيث يرغب من استقر الإيمان في قلبه عن أن يجمع إليه من النقائض ما يكون كفرا بنعمة الله لأ.

ولعل من أصرح العبارات القرآنية في هذا السياق قوله لأ: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٧٣)، وهنا نكتة دقيقة وهي أنه لما ذكر امتنان الأعراب بالاستجابة لدعوة الرسول ﷺ جاء بلفظ الإسلام ليدل على عدم بلوغهم مراتب الكمال في حين أنه لما ذكر امتنان الله عليهم بهذا الدين جاء بلفظ الإيمان الدال على تمام نعمة الهداية(٧٤) فتم فضل الله وظهر قصور عباده عن أداء حق الشكر كما زعموا، والله أعلم.

ثالثاً: بيان عواقب عدم الالتزام بهذه الآداب.

لقد جاءت الآيات في هذه السورة بجملة من التنبيهات على خطورة العواقب المترتبة على ترك التزام منظومة الأخلاق القرآنية المعروضة، ففي سياق الأمر بالتثبت في الأخبار جاء التحذير من عاقبة الندم المترتبة على التصرف بغير علم وتثبت وتبين، فقال لأ: ﴿ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾(٧٥)، وفي سياق النهي عن القبائح الاجتماعية –كالسخرية والتنابز واللمز– جاء التحذير من وقوع الظلم بين أفراد المجتمع نتيجة الاستهزاء بالغير والافتراء عليه ومبالغة الغير في الرد على تلك السخرية والافتراءات، فقال لأ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(٧٦) وهكذا.

المطلب الثاني- التأكيد على جملة من المبادئ العامة.

لقد قررت سورة الحجرات بعض المبادئ التي يعين فهمها على التزام منظومة الأخلاق الواردة في السورة، وبعض هذه المبادئ يؤصل المساواة بين الناس بحسب القدر المشترك من طبيعة الخلق البشري، وبعضها الآخر يؤصل للقدر المشترك الأدنى من مسمى الإسلام بين من ينتسبون لهذا الدين ويفصل في مقدمات الترقي في درجات الإيمان الأعلى تاركاً تقرير تحقيق ذلك على الحقيقة إلى الله لأ، فلنتأمل هذه الآيات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾(٧٧) ويمكن تعداد المبادئ المستخلصة من هذه الآيات فيما يلي:

أولاً: عدم التفاضل في طبيعة الخلق.

قال الله لأ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ﴾.

فكلنا لآدم وآدم من تراب، ولا يرفع إنساناً فوق إنسان شيء مما له علاقة بطبيعة الخلق البشري كاللون والعرق والجنس؛ فالأب واحد والأم واحدة كما قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ وهذا نظير قوله لأ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٧٨].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: «فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية وهي طاعة الله لأ ومتابعة رسوله ﷺ »[٧٩] قلت: وبتقرير هذا المبدأ ينتفي في ذهن المكلف أي داع من دواعي الاستعلاء على الغير من حيث صورة خلقه ونسبته البشرية، فينهدم ركن من أركان التفاضل الموهوم الذي قد يسوغ للبعض استحلال عرض أخيه بغيبة أو نميمة أو تجسس أو سخرية أو تنابز ولمز ونحوه.

فبعد تقرير التساوي في النسبة الطينية ونقض التفاضل على أساسها كان من الطبيعي أن تنبه الآية على معيار التفاضل المعتبر شرعاً فقال لأ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ﴾[٨٠] وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[٨١].

وهنا أمر مهم جداً وهو أنه لما كان معيار التفاضل المعتبر شرعاً هو التقوى ختمت الآية بقوله لأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٨٢] لتنبه إلى أن الله لأ هو الذي يعلم المتقين من غيرهم، فقطعت بذلك الطريق على أي فرد يريد أن يتفاضل على غيره ولو في هذا المعيار، إذ ليس المقصود من تحديد التقوى معياراً للتفاضل أن يهزأ الناس بعضهم ببعض أو يستبيحوا غيبتهم أو لمزهم أو نحو ذلك لأنهم دونهم في التقوى، وإنما المقصود كف الناس عن بعضهم البعض وردهم في التفاضل إلى علم الله لأ لأنه هو - وحده الذي يعلم المتقي على الحقيقة من غيره، ولقد جاء ذلك بوضوح تام في سورة النجم حيث قال: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[٨٣].

ثانياً: النهي عن الإدعاء.

لما ردت الآية الناس إلى معيار التقوى وكان من المشاهد ادعاء بعض الناس لأنفسهم مراتب ليست لهم على الحقيقة كان من اللازم بيان مراتب الإيمان والتنبيه على الفرق بين

الإسلام والإيمان وأن تحقيق هذه الأسماء لا يكون بالتمني والدعوى وإنما باستكمال المقدمات والأعمال، تأمل معي قوله لأ: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ ﴾(٨٤) قال الحافظ ابن كثير: «والصحيح أنهم قوم ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ولم يحصل لهم بعد فأدبوا وأعلموا أن ذلك لم يصلوا إليه بعد»(٨٥)، قلت: ثم بينت السورة ما يلزم لتحقيق مرتبة الإيمان فقال لأ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾(٨٦) فبدأت الآية بلفظ (إنما) وهو من أساليب الحصر(٨٧) لتحدد من هم المؤمنون الكمل وليقف كل فرد عند حده فلا يدعي لنفسه مرتبة ليست له.

وعلاقة كل ذلك بمسألة الأخلاق تجريد أفراد المجتمع من أي حجة أو ذريعة وهمية للاستعلاء على إخوانهم المسلمين، فيعود كل فرد إلى ملاحظة عيوبه وأخطائه وقصوره فينشغل بذلك عن تتبع عيوب وأخطاء الآخرين وهتك سترهم بألفاظ السخرية والنميمة والغيبة واللمز ونحوه، وهذا البيا الشمولي في السورة ثمرة من ثمار الإعجاز القرآني الفريد.

الخاتمة

بعد حمد الله لأ وتوفيقه توصلت في بحثي هذا إلى النتائج التالية:

١. الأخلاق في الإسلام منبثقة من عقيدة الإسلام تنضبط بها من جهة وتصب في بوتقة حراسة العقيدة من جهة أخرى، وليست الأخلاق في الإسلام نظريات وفلسفات يتيه فيها أصحابها كما تتيه فيها المجتمعات التي تقع فريسة الافتتان بها.
٢. شمولية المنظومة الاخلاقية الإسلامية: بل إن هذه السورة على قصرها وإيجازها قد جمعت مقومات الفلاح والثبات في ضبط المجتمع الإسلامي بما لا يمكن تحقيقه البتة بشتى النظم الوضعية مجتمعة، فما بال المرء لو أنه استقرأ القرآن الكريم كله سبراً لباقي التوجيهات الأخلاقية.
٣. ثبات منظومة الأخلاق الإسلامية: فالأخلاق الإسلامية تدور مع حدود الشرع حلاً وحرمة، بخلاف الأخلاق الوضعية المصلحية التي تتبدل وتدور مع المصالح فأخلاق اليوم مثالب الغد والعكس بالعكس.
٤. تميز منظومة الأخلاق الإسلامية برقابة ذاتية شرعية تضمن لها درجة من الالتزام الفردي لا يمكن تحقيقها بغير هذا الوازع الإيمان ولا بأي سلطة بشرية قهرية.

والحقيقة أنني بعد انتهائي من هذا البحث أشعر بتقصيري في تناول هذه السورة، ولعل الله يوفقني أو احداً من إخواني إلى استيفاء هذه السورة دراسة وتدبراً وبحثاً لنقف على كافة عناصر ومقومات البناء الأخلاقي للمجتمع المسلم بحيث نتمكن من تحقيق هذه السورة واقعاً مشاهداً يشار إليه بالبنان يحكي روعة الإعجاز القرآني ويرفع عن كواهلنا تبعات التقصير في تطبيق كتاب الله لأ.

ملخص

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فان خير ما صرفت فيه الجهود واشتغل به العلماء تعلماً وتفهيماً وتفسيراً ودراسة واستنباطاً كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو كتاب هداية ودستور امة هي خير امة أخرجت للناس ولقد تكفل الله بحفظه وكما قال عز من قائل ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ** ﴾ ولما كان علم التفسير من اجل العلوم وأشرفها فقد ألزمت نفسي دراسة هذا العلم ملتمسا به رضا الله تعالى والدرجات العلى عنده سبحانه وسالكا به طريق الحق الذي هداني إليه ربي عزوجل، ولما كان موضوع الأخلاق والآداب الإسلامية في غاية الأهمية في مجتمعنا الإسلامي، وبما إن المجتمع الإسلامي محكوم بشرع الله سبحانه وتعالى فهذا يعني ان تركيب هذا المجتمع يعتمد على أقطاب ثلاثة: مشرع، ومبلغ، ومنفذ منقاد. وان هذا التركيب يفرض أنواعا من التعاملات والسلوكيات ما بين الرعية والسلطة التشريعية من جهة، والقيادة والرعية من جهة وأفراد المجتمع من جهة أخرى، وقد تناولت في بحثي هذا ضوابط وآداب المجتمع الإسلامي من خلال سورة الحجرات وهو موضوع عظيم الأهمية في حياتنا اليوم في زمان تلفق للإسلام فيه كل تهمة وعيب زورا وبهتانا وكان الأعين قد عميت عن أمثال سورة الحجرات التي تهدي كما يهدي القرآن كله إلى التي هي أقوم لاسيما بعد عقود من تخبط البشرية بين نظريات الشرق والغرب وترهات الفلاسفة والأخلاقيين الموهومين فإذا بالعالم اليوم اشد تخبطا بعد هذه النظريات منه قبلها وبات لزاما علينا معشر المسامين إن نبين للعالم كنوز هذا الدين وروائعه عساهم يفيئون إلى الله تعالى ويفرون إليه من شقاوات الشيطان وبعد حمد الله وتوفيقه توصلت في بحثي هذا إلى النتائج التالية:

١. الأخلاق في الإسلام منبثقة من عقيدة الإسلام تنضبط بها من جهة وتصب في بودقة حراسة العقيدة من جهة أخرى، وليست الأخلاق في الإسلام نظريات وفلسفات يتيه فيها أصحابها كما تتيه فيها المجتمعات التي تقع فريسة الافتتان بها.
٢. شمولية المنظومة الأخلاقية الإسلامية بل هذه السورة على قصرها وإيجازها قد جمعت مقومات الفلاح والثبات في ضبط المجتمع الإسلامي بما لا يمكن تحقيقه البتة بشتى النظم الوضعية مجتمعة فما بال المرء لو انه استقرأ القرآن الكريم كله سبرا لباقي التوجيهات الأخلاقية .
٣. ثبات منظومة الأخلاق الإسلامية فالأخلاق الإسلامية تدور مع حدود الشرع حلاً وحرمةً، بخلاف الأخلاق الوضعية المصلحية التي تتبدل وتدور مع المصالح فأخلاق اليوم مثالب الغد والعكس بالعكس.
٤. تميز منظومة الأخلاق الإسلامية برقابة ذاتية شرعية تضمن لها درجة من الالتزام الفردي لا يمكن تحقيقها بغير هذا الوازع الإيماني ولا بآي سلطة بشرية قهرية.

والله من وراء القصد ..

Abstract

As the science of interpretation for Science and Ocharfha committed myself to the study of this science, seeking to draw closer to God by the High, the Great.

As the subject of Islamic morals and manners of the utmost importance in our Islamic society has written search which dealt with controls and ethics of the Islamic community through Al rooms, which is great importance topic in our lives today in the time of fabricating of Islam in which all charge and defect falsely, as if the eyes may Amit for the likes of Al rooms which presents -as guides Koran Klh- to that is I, especially after decades of human confusion between the East and the West, theories and exaggerations philosophers and moralists Almuhomin, if the world today more confusion after these theories him before, and is necessary for us O Muslims to show the world the treasures This religion and his masterpieces to use their existing Afaion to God and to flee from Hqawat devil.

And resulted in the three sections offered in the first of a broad definition of surah, The second topic was about the behavior of the Muslim community, and eat three demands:

First requirement: Etiquette of believers with God and His Messenger.

The second requirement: Etiquette of Islamic politics.

The third requirement: ethics deal Muslim community among themselves. The third section was about the Quranic method in the ethics report the community through this Surah, eat this section two demands: First requirement: the diversity of the speech style in educational guidance. The second requirement: the emphasis on a set of general principles. In conclusion, this research humble Balkhatemh the most important findings of this research reported.

As for the sources of this research has consisted of being the most reliable sources of interpretation and wrote books Quran sciences, not just Me importance of talking books because of their close relationship between them and the objective.

And last but not least: I have been made very best in the completion of this research and take it out properly to him, the tune to what I wrote That grace of God, but missed it the human sides of the ellipse, and God bless the sacked Osrti and alerted me to Hvota and Praise be to Allah, the Lord of the Worlds.

1. After praising God Almighty found in my research that the following results:
   1. Ethics in Islam derived from the doctrine of Islam adjust adequately by the hand and pour in the crucible of guarding the faith on the other hand, not morality in Islam theories and philosophies of the confounding owners also shrouded the communities in which they fall prey enamored by.
2. totalitarian Islamic moral system: but that this sura the palace has collected and summarized the elements of the farmer and the consistency in the set, including the Muslim community can not be achieved at all the various systems status combined, what about you if he examined the Koran whole Spra for the rest of moral guidance.
3. The stability of Islamic morality system: Islamic Ethics spin with the limits of Islam and the sanctity of a solution, other than the morality of self-interest situation that is changing and spin with interests Vokhalaq today disadvantages tomorrow and vice versa.
4. characterize system of Islamic morals Resume supervision to ensure the legitimacy of its degree of individual commitment can not be

achieved without the restraint of faith nor any human authority compelling.

The truth is I after I finished this research I feel Ptgosaira in addressing this Surah, and may God Iovgueni or one of my brothers to meet these Sura studying and studying them and seek to stand on all the elements, and the [88]elements of moral construction of the Muslim community so that we can achieve this Surah reality spectator referred to Mendez tells splendor Miracles of the Qur'an and raises Quahlna about the consequences of a failure to apply the Book of God.

هوامش البحث

(١) القاموس المحيط، للفيرزوآبادي، باب الطاء (فصل الضاد)، ص٦٧٥، وينظر: لسان العرب، لابن منظور ١٥/٨-١٦.

(٢) التعريفات للسيد الشريف الجرجاني، ص١٤٠.

(٣) سورة فصلت آية: ٤٢.

(٤) سورة آل عمران آية: ١١٠.

(٥) سورة الحجر آية: ٩.

(٦) سورة القمر آية:١٧.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٨٦/٧.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٥٥/١٦، وينظر: التفسير الكبير للإمام الرازي ٢٨/١١٢.

(٩) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني ٥٦٤/٩.

(١٠) من المعلوم شرعاً جواز المشاركة بين الله لأ والرسول ﷺ في الأمور الشرعية بينما يحرم ذلك في الأمور الكونية؛ فلقد ورد في النص الصريح: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩] فشرك بين الله لأ ورسوله ﷺ في الأمر الشرعي وهو التحريم، أما المحظور فهو المشاركة بينهما في الأمور الكونية كالمشيئة والقدرة، كما ورد في الحديث «أن رجلا من المسلمين رأى في النوم أنه لقي رجلا من أهل الكتاب فقال نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشاء محمد وذكر ذلك للنبي ﷺ فقال

«**أما والله إن كنت لأعرفها لكم قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد**»» (صحيح ابن ماجة) فنهى عن التشريك في المشيئة وهي أمر كوني.

(١١) سورة الحجرات آية: ١-٥.

(١٢) رواه نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة.

(١٣) فتح الباري- ابن حجر العسقلاني ٥٦٥/٩.

(١٤) المصدر نفسه ٥٦٧/٩.

(١٥) سورة الأحزاب آية: ٥٣.

(١٦) سورة الحجرات آية: ١.

(١٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٦٤/٩.

(١٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٥٥/١٦، وينظر: الدر المنثور، للسيوطي ٢٤٤/٧.

(١٩) سورة الحجرات آية: ٢.

(٢٠) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٥٥/٩.

(٢١) هو موسى بن أنس راوي الحديث عن أنس.

(٢٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٦٦/٩.

(٢٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٩١/٧، وينظر: تفسير الطبري ١٨٨/١٨.

(٢٤) الاعتصام، الشاطبي ٧٩.

(٢٥) أعني قوله لأ: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾ [الإسراء: ٢٣].

(٢٦) سورة الحجرات آية: ٣.

(٢٧) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، باب الراء (فصل الجيم)، ص٣٦٩، وينظر: لسان العرب لابن منظور ٣٩٧/٢.

(٢٨) سورة الحجرات آية: ٢.

(٢٩) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٦٠/١٦، وينظر: روح المعاني للآلوسي ١٧٠/١٩.

(٣٠) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٩١/٧.

(٣١) سورة النور آية: ٦٣.

(٣٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٦٢/١٦ بتصرف.

(٣٣) سورة الحجرات آية ٥.

(٣٤) الأحكام السلطانية، الماوردي ٥.

(٣٥) سورة الحجرات آية: ٦-١٠.

(٣٦) سورة الحجرات آية: ٧.

(٣٧) سورة النساء آية: ٨٤.

(٣٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٩٣/٧-٤٩٦، والجامع لاحكام القرآنح القرطبي ٢٦٤/١٦-٢٦٦، وتفسير الطبري ١٨/١٩٠ باختصار، والروايات كلها فيها ضعف.

(٣٩) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله، عبد الرحمن حبنكة الميداني ٥٨٥.

(٤٠) فتح الباري، كتاب الصلح ٣٥٢/٥ برقم (٢٦٩١).

(٤١) صحيح سنن أبي داود ٤١١١.

(٤٢) سورة الحجرات آية: ٩.

(٤٣) صحيح البخاري، كتاب الصلح ٣٦٣/٥ برقم (٢٧٠٤).

(٤٤) سورة الحجرات آية: ٩.

(٤٥) سورة الحجرات آية: ٩.

(٤٦) الأحكام السلطانية، الماوردي ٩٧.

(٤٧) سورة الحجرات آية: ٩.

(٤٨) الأحكام السلطانية، الماوردي ٩٨.

(٤٩) باختصار من الأحكام السلطانية، الماوردي ٩٨-٩٩.

(٥٠) سورة الحجرات آية: ١١-١٢.

(٥١) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله، عبد الرحمن حنبكة الميداني ٥١٧.

(٥٢) المرجع نفسه ٥١٧.

(٥٣) المرجع السابق ص٥١٧، بتصرف.

(٥٤) سورة الفلق آية: ٥.

(٥٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، باب الزاي (فصل الميم)، ص٥٢٤.

(٥٦) سورة الحجرات آية: ١١.

(٥٧) سورة النساء آية: ٢٩.

(٥٨) الجامع لأحكام القرآن- القرطبي ٢٧٨/١٦، والتفسير الكبير ١٤٤/٢٨.

(٥٩) سورة الهمزة آية: ١.

(٦٠) سورة القلم آية: ١١.

(٦١) القاموس المحيط، باب الزاي (فصل النون)، ص٥٢٦.

(٦٢) سورة الحجرات آية: ١١.

(٦٣) سورة الحجرات آية: ١٢.

(٦٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، ٥٦٠٦.

(٦٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥٠٤/٧.

(٦٦) سورة الملك آية: ١٤.

(٦٧) صحيح مسلم، ٢٥٨٩.

(٦٨) سورة الحجرات آية: ١٢.

(٦٩) سورة الحجرات آية: ٢.

(٧٠) سورة الحجرات آية: ٣.

(٧١) سورة الحجرات آية: ٤.

(٧٢) سورة الحجرات آية: ٥.

(٧٣) سورة الحجرات آية: ١٧.

(٧٤) من المعروف أن لفظي الإسلام والإيمان إذا افترقا في الموضع اتفقا في المعنى – أي كان كلاً منهما مرادفاً للآخر- وأنهما إن اجتمعا في الموضع افترقا في المعنى- أي كان لكل منهما معنى أخص من الآخر.

(٧٥) سورة الحجرات آية: ٦.

(٧٦) سورة الحجرات آية: ١١.

(٧٧) سورة الحجرات آية: ١٣-١٥.

(٧٨) سورة النساء آية: ١.

(٧٩) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥١٣/٧ وينظر: الدر المنثور ١٣٣/٧.

(٨٠) سورة الحجرات آية: ١٣.

(٨١) صحيح مسلم، باب النهي عن الشحناء والتهاجر ١٩٨٧/٤.

(٨٢) سورة الحجرات آية: ١٣.

(٨٣) سورة النجم آية: ٣٢.

(٨٤) سورة الحجرات آية: ١٤.

(٨٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥١٨/٧.

(٨٦) سورة الحجرات آية: ١٥.

(٨٧) البلاغية الوافية ١٧٤.

المصادر والمراجع

١. الاعتصام: لأبي اسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٢. البلاغة الوافية:

٣. تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمد بن مرتضى الحسني الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (د.ت).

٤. تفسير القرآن العظيم: للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: الدكتور السيد محمد السيد والدكتور وجيه محمد أحمد ومصطفى فتحي عبد الحكيم وسيد إبراهيم صادق، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٦هـ.

٥. التفسير الكبير المسمى (مفاتح الغيب) للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية القاهرة، مصر.

٦. الجامع لأحكام القرآن: لمحمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧هـ.
٧. الجامع الصحيح المختصر من حديث رسول الله وسننه وأيامه: لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا- دار ابن كثير، دمشق، ودار اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١١هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٩. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي (ت ٩١١هـ)، تخريج وتصحيح: الشيخ نجدت نجيب- دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
١٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لأبي الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١١. سنن ابن ماجه: لمحمد بن يزيد أبي عبد الله القزويني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
١٢. سنن أبي داود: لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
١٣. صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٤. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
١٥. في ظلال القرآن: لسيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، د.ت.
١٦. القاموس المحيط: لمحمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت)، (د.ط).
١٧. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله: لعبد الرحمن حنبكة الميداني، مؤسسة الرسالة، (د.ت)، (د.ط).

١٨. لسان الميزان: لابن حجز العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٦.

١٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٨٨٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (د.ت).